يعرف من جرّبها وجعلها همّه وشغل نفسه بها والنبي عليه السلام مشحون القلب
بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيّد البال بمصالح الامة الدينية
والدنيوية ولكن انما يكون هذا في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله
التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد
تواتر النقل عنه عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة
فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب
فصل وأما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم
ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام
انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي
له على نحو ما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فانما
اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد ثنا حسين بن محمد الحافظ ثنا
ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن هشام
بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة قالت قال رسول الله عليه السلام الحديث وفي
رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق
فاقضي له ويجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة
ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة
الله في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى
الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة و
لكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره
وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء
به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا
نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية بحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله
له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما بعلم الامة فاجرى الله احكامه على الظاهر
التي

٤٣

التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه
وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان
بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان
حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات
التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه
وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر
ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما اقواله الد
الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان
الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه كان من عمد او سهو او صحة او مرض
او رضى او غضب وانه معصوم منه عليه السلام هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله
الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه
في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ
لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب
المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن
الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وقد قال عليه السلام — وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض صح
اني لا امزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر مما صورته الامر والنهي في — فاما ما بابه غير الخبر صح
الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى
احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة
الاعين فكيف ان تكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى قوله تعالى في قصة
زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك فاعلم اكرمك
الله فلا تسترب في تنزيه النبي عليه السلام عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا
بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)